١. القراءات السبع والأحرف السبعة(*)

كثير من المسلمين الذين لم يتخصصوا فى الدراسات القرآنية يخلطون بين القراءات السبع والأحرف السبعة، مع أن هناك فرقًا كبيراً بين الأمرين.

من أجل هذا حاولت فى هذا البحث الموجز أن أزيل هذا اللبس من أذهان هؤلاء الذين لم تتح لهم ظروفهم أن يلموا بمثل هذه الموضوعات فى حقل الدراسة القرآنية من ناحية، وللحفاظ على الدراسة القرآنية من أن يدخل فيها ما ليس منهامن ناحية أخرى فأقول:

١. الأحرف السبعة:

هذه العبارة كانت موضع جدل ونقاش بين علماء المسلمين إلى يومنا هذا، ومازالت فى حاجة إلى المزيد من الدراسات، ذلك لأنها لم تكن عبارة عادية وردت على لسان بعض الصحابة أو التابعين أو بعض الأئمة الذين لمعوا فى سماء الدراسة القرآنية.

ولكنها عبارة جديرة بالنظر والبحث، لأنها وردت على لسان من نزل عليه الوحى محمد رسول الله ﷺ.

يحدثنا البخارى فيقول: «حدثنا سعيد بن عفير ، قال حدثنى ا لليث ، قال حدثنى عقيل عن ابن شهاب، قال : حدثنى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن القارى حدّثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة، فتصبرت حتى سلم فلبّبته بردائه، فقلت: مَن أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة «الفرقان» على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ :أرسله . اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ . فقال رسول الله ﷺ . كذلك أنزلت، ثم

(*) السنة الأولى ـ العدد السابع ـ جمادى الأولى ١٣٩٠ ـ تموز ١٩٧٠ مجلة الفكر الإسلامى ـ بيروت.

قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التى أقرأنى ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت . إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسّر منه» (١).

وقد تواترت رواية هذا الحديث الشريف، فقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده الكبير أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال يوماً ، وهو على المنبر: أذكر أن رجلاً سمع النبى ﷺ قال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، فقال عثمان رضى الله عنه: وأنا أشهد معهم» (٢).

وقد اختلف علماء العربية والإسلام فى هذا الحديث الشريف اختلافاً كبيراً إلى حدّ أن السيوطى أورد له فى كتابه «الإتقان» أربعين وجهاً (٣).

ونحن لانستطيع أن نعرض هذه الآراء جميعاً للموازنة بينها والوصول إلى الصحيح منها، لأن ذلك يحتاج إلى بحث طويل ، ولكننا نكتفى فى هذا المقام بذكر بعض الآراء للمشهورين من علماء اللغة، والنحو، والقراءات.

أ ـ رأى ابن قتيبة:

قال ابن قتيبة : وقد تدبرت وجوه الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف فى إعراب الكلمة، أو فى حركة بنائها بما لايزيلها عن صورتها فى الكتاب، ولا يغير معناها نحو قول تعالى ﴿وَهَلْ نُجَازِى إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ (٤) .«وهل يُجازى إلاّ الكفور».

ثانيها: أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة، وحركة بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب نحو قوله تعالى :﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾(٥)..، و«﴿ربُّنا بَاعد بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.

(١) صحيح البخارى حـ ٦ ص ١٨٥، المطبعة الأميرية.
(٢) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى حـ١ ص ٢١.
(٣) الإتقان للسيوطى حـ ١ ص ٤٥، مطبعة الحلبي.
(٤) سبأ : ١٧ (٥) سبأ : ١٩.

ثالثها: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب ، ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً واحدة﴾ (١) و﴿زَقْيَة واحدة﴾، ﴿وكالصوف المنفوش﴾، و﴿كَالْعِهْنِ﴾(٢).

رابعها: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى ﴿وطلع مَّنضُودٍ﴾ فى موضع «وَطَلْحٍ مَنضُودٍ »(٣).

خامسها: أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى :﴿وانظُرْ إِلَى العظام كَيْفَ نُنشزُها ﴾(٤). و﴿ننشرها﴾.

سادسها: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله :﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحقّ بالموْت﴾ فى موضع ﴿وجاءَتْ سكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (٥).

سابعها: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى :﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ﴾(٦) ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾(٧).

رأى ابن قتيبة بين المؤيدين والمعارضين:

من المؤيدين لابن قتيبة : الشيخ محمد بخيتب المطيعى حيث ردّ على ابن عبدالبر الذى أنكر أن يكون معنى الأحرف اللغات لاختلاف عمر وهشام، ولغتهما واحدة.

قال الشيخ بخيت :«وأقول : إن معنى نزوله باللغات المذكورة هو أن الله أذن بقراءته بكل لغة ، فلا مانع أن هشاماً يقرأ بلغة أخرى غير لغة قريش أيضاً. فيكون قد تعلم من النبى ﷺ القراءة بلغة قريش ، وبلغة غيره» (٨).

---

(١) يس: ٢٩. (٢) القارعة: ٥.

(٣) الواقعة: ٢٩. (٤) البقرة: ٢٥٩.

(٥) ق: ١٩. (٦) يس: ٣٥.

(٧) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ص ٢٨، ٢٩: تلخيص وتصرف.

(٨) الكلمات الحسان فى الحروف السبعة ص ٥٩: الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية سابقاً.

ومن المؤيدين لابن قتيبة الدكتور إبراهيم أنيس لأنه استدل برأى ابن قتيبة فى أن المراد بالأحرف اللغات قال : «وقال ابن قتيبة فى كتابه «المشكل»: «فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيّه ﷺ بأن يقرىء كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم، فالهذلى يقرأ: عتى حين، والأسدى يقرأ «تعلمون» بكسر التاء، والتميمى يهمز، والقرشى لايهمز»(١).

ومن المعارضين لرأى ابن قتيبة ابن عبد البّر:

قال ابن عبد البر :«أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات لما تقدم من اختلاف هشام وعمر، ولغتهما واحدة »(٢).

وفى رأى ابن عبد البر أن المراد بالأحرف السبعة «سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو: أقبل ـ وهلم ـ وتعال» (٣).

وأراد ابن حجر أن يوفق بين الرأيين: رأى ابن قتيبة، ورأى ابن عبدالبر فقال: «ويمكن الجمع بين القولين بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك فى سبع لغات» (٤).

ب ـ رأى الطبرى:

يقول ابو جعفر بعد عرضه للأحاديث الشريفة فى نزول القرآن على سبعة أحرف:«صحّ وثبت أن الذى نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن إحصائه.

فإن قال : وما برهانك على أن معنى قول النبى ﷺ : أنزل القرآن على سبعة أحرف، وقوله: أمرت أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف، هو ما ادعيته من أنه نزل بسبع لغات، وأمر

---

(١) اللهجات العربية ص ٢٨ الدكتور إبراهيم أنيس.

(٢) لطائف الإشارات فى علم القراءات لشهاب الدين القسطلاني، ورقة ٩ ، مخطوط رقم ١٦١ ـ دار الكتب ـ قراءات.

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

(٤) المرجع نفسه والصحفة.

بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر، وترغيب، وترهيب، وقصص، ومثل ، ونحو ذلك من الأقوال، فقد علمت أن قائلى ذلك من سلف الأمة، وخيار الأئمة»[1]؟.

ويجيب الطبرى عن هذا الاعتراض بقوله: «إن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود وأبى بن كعب تماروا فى القرآن، فخالف بعضهم بعضاً فى نفس التلاوة دون باقى ذ لك من المعانى، ثمّ احتكموا فيها إلى النبى ﷺ، فاستقرأ كل رجل منهم، ثم صوّب جميعهم فى قراءاتهم على اختلافها.

ثم قال: ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم، والوعد والوعيد، وما أشبه ذلك لكان مستحيلاً أن يصوب جميعهم ﷺ ويأمر كل قاريء منهم أن يلزم قراءته فى ذلك على الذى هو عليه»[2].

رأى الطبرى بين المؤيدين والمعارضين:

يؤيد الطبرى فى هذا الرأى أبو عبدالله الزنجانى، فقد قال: «المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من المعانى المتفقة، بالألفاظ المختلفة نحو: أقبل ـ وهلم ، وتعال، وامض، وأسرع، وأخر، ومهل، وامض وأسر، وهذا الوجه هو ما اختاره الطبرى فى مقدمة تفسيره.. ثم يقول الزنجانى :«وهذا الوجه هو الذى لايراه العقل بعيداً، فإن الاختلاف لو كان فى المعنى بسبعة أوجه يفسر بها المعنى، فقد يفضى إلى معنين متضادين، فكيف يجيز النبى ﷺ خلاف ما أراد الله بيانه من الآية. ثم استدلّ بما رواه الأعمش عن أنس أنه قرأ هذه الآية:« إنَّ ناشئة اللَّيل هي أشَدُّ وطْئًا وأصوب قِيلاً »[3]. فقال له بعض القوم : يا أباحمزة، إنما هى أقوم، فقال: أقوم، وأصوب، وأهدى واحد»[4].

---

(١) تفسير الطبرى جـ ١ ص ١٥ بتصرف.

(٢) المرجع نفسه ص ١٦.

(٣) المزمل :٦.

(٤) تاريخ القرآن للزنجانى ص ١٥، ١٦.

ويعارض الطبرى فى هذا الرأى الدكتور صبحى الصالح فيقول: «إن علماء الغرب يؤيّدون وجهة الطبرى لحاجة فى نفس يعقوب، وتشبث «بلا شير» بهذا يؤكد أن نظرية القرآن بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية فى الحياة الإسلامية لأنها أسلمت النص القرآنى إلى هوى كل شخص يثبته على ما يهواه» (١).

ج - رأى أبى شامة:

نقل العلامة أبو شامة أنه نزل أولاً بلسان قريش، ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن تقرأه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب، ويدل على ما قاله ما ثبت أن ورود التخفيف كان بعد الهجرة، كما يتضح من حديث أبى بن كعب أن جبريل لقى النبى ﷺ وهو عند «أضاة» بنى غفار، فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، فإن أمتى لاتطيق ذلك»(٢).

رأى ومناقشة:

هذه الآراء السابقة لانستطيع أن نخرج منها بحقيقة نستريح إليها نفوسنا، وتطمئن إليها قلوبنا فكثرة الأفكار، وتنازع الأدلة، وتناقض الحجج قد تؤدى إلى الجدل الذى لانفع وراءه، والحديث يشير معناه إلى حقيقة مؤداها أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، وفيه من لغات العرب الأخرى الشىء الكثير، بل لاأبالغ إذا قلت إنه لاحتوائه هذه اللهجات غير القرشية يكون تحدّيه للعرب أتمّ، وقدرته فى باب الإعجاز أبلغ من نزوله بلهجة واحدة هى اللهجة القرشية. وقد لمس هذا المعنى ابن الجزرى فأصاب المحزّ حينما قال: «لو جاء القرآن الكريم كله بالأفصح لكان على غير النمط المعتاد فى كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح، فلا تتم الحجة من الإعجاز، إذ يقال مثلاً.. إنه جاء بما لاقدرة للعرب على جنسه، كما لايصح

---

(١) مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح، ص ١٣٧.

(٢) لطائف الإشارات: ورقة ٩.

أن يقول البصير للأعمى: قد غلبتك بنظرى لأن الأعمى يقول له: إنما تتم لك الغلبة إذا كنت قادراً على النظر وكان نظرك أقوى من نظري، أما إذا فقد أصل النظر فكيف تصح المعارضة»[1].

من هذا نرى أن الحديث يريد أن يبين أن القرآن الكريم نزل بهذه اللهجات المتعدّدة للإعجاز كما قلت، وليتيح للعرب من ناحية أخرى التدبر فى معانيه، وكثرة التلاوة فيه، لأنه يحتوى من لهجاتهم ما يتيح لهم هذا النفع الكبير منه، ولكن هذه اللهجات ليست كثيرة للحد الذى يطغى على لهجة قريش، فإن لهجة قريش هى اللهجة الغالبة ومعظمه نزل بها، لأنها قبيل الإسلام «أصبحت اللغة السائدة فى المواسم والأسواق وعلية القوم من الفصحاء الذين لم ينتموا إلى قريش كانوا يتخذون لغة قريش لغة الأدب والشعر.. كذلك كان لابد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجعجة، أو كشكشة لينالوا إعجاب سامعيهم، ولا يكونوا موضع سخريتهم وهزئهم، وإلا فكيف كان من الممكن أن يفضل شاعر على شاعر فى تلك المناظرات إذا كان المقياس مختلفاً وأداة القول متباينة، ولهذا توحدّت القبائل فى لغة أدبية ممتازة، مختارة الألفاظ، يعمد إليها الشاعر أو الخطيب كلما عنّ له القول ، وتلك كانت اللغة النموذجية»[2].

ومن حق القارىء أن يسأل : إذا كان الأمر كذلك فى نزول القرآن الكريم بلهجة قريش وغيرها فهل معنى ذلك أن القارىء غير القرشى يقرأ بلغته أو بلهجته التى تعود بها النطق كما يدعى ذلك بعض العلماء من المحدثين؟

وللإجابة عن هذا التساؤل أقول : لم تكن قراءة القرآن الكريم تجرى على ألسنة العرب على اختلاف قبائلهم باللهجات التى نشأوا عليها، لأن فى ذلك الفوضى التى لاحدّ لها فى كتاب الله الذى تعهد سبحانه بحفظه وصيانته على الرغم من كرِّ الأعوام وتتالى القرون: «إن نحن نزّلنا الذكر، وإنا له لحافظون».

(١) نقلا من مقال للمرحوم الشيخ عبدالجواد رمضان: القرآن واللغة، مجلة الأزهر: المجلد ٢٢ ص ٦٠٠.
(٢) من كتاب اللهجات العربية: للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢٨،٢٧، بتصرف وتلخيص.

ولعل سائلاً آخر يقول: إن عيوب بعض اللهجات العربية، كالفحفحة وهى ابدال الحاء عيناً قد قرأ بها بعض الصحابة مثل ابن مسعود الذى كان يقرأ «عتّى حين» فى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١).

وللإجابة عن هذا التساؤل أيضاً أقول: إن ابن مسعود لعله سمع من النبى عليه السلام هذه القراءة فى هذه الآية فحسب بدليل أن هذه القراءة لم تكن فى غير سورة يوسف مع تكرار «حتى حين» فى غيرها. و هذا يدل دلالة واضحة على أن ابن مسعود تقيّد بالقراءة المسموعة من النبى عليه السلام فحسب، ولو كانت القراءة مطلقة من غير قيد الرواية والسماع كما يدعى بعض المحدثين لقرئت «حتي» (عتي) فى كل آية توجد فيها.

ومالى أذهب بعيداً والموقف يشير إلى حل قريب آخر، ذلك ان ابن مسعود قد يكون فى قراءته «عتى حين» غلب عليه لسانه الهذلى فقرأها بلسان قومه كما سمعها، ومن ثمّ تكون إشارة عمر فى هذا المقام إشارة لها دلالتها، تضع النقاط على الحروف فى مجال قراءة القرآن، يقول الرواة: إن عمر حينما سمع هذه القراءة من ابن مسعود نبهه إلى «أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، لابلغة هذيل»، ومعنى ذلك أن عمر أراد أن يسد باب القراءة الواسع باللغات المختلفة من غير أن تكون هناك رواية تسند إلى النبى عليه السلام فى ذلك.

وأردت أن أتحقق من هذلية ابن مسعود فوجدت ابن الأثير يقول: «هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب.. إلى أن قال: ابن تميم بن سعد بن هذيل. وأمه أم عبد بنت عبدود بن سواء من هذيل أيضاً» (٢).

فالقراءات إذن ليس مصدرها هذه اللهجات المتعدّدة، وإنما مصدرها قراءة النبى عليه السلام.

وإن تعجب فعجب قول من قال: «إن القراءات السبع ليست من الوحى فى قليل ولا

---

(١) يوسف: ٣٥.

(٢) أسد الغابة فى معرفة الصحابة حـ ٣ ص ٢٥٦ ابن الأثير.

كثير وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولامغتمزاً فى دينه، وإنما هى قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها وقد حاولوا فيها بالفعل وتماروا، وخطأ فيها بعضهم بعضاً، ولم نعلم أن أحداً من المسلمين كفر أحداً لشىء من هذا، وليست هذه القراءات بالأحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن» (١).

إن كل كلمة فى هذا النص تحمل دليل زيفها، وحجة بطلانها، وهذا حكم ظالم صدر من غير تروٍّ فى القضية، بل من غير دراسة لها، ولم يكن كما يجب أن يكون.

نعم قد تكلم الباحثون قبله من علماء الفكر الإسلامى فى القراءات، واختلفت آراؤهم حولها، وبخاصة فى معنى الأحرف السبعة، هذا الاختلاف الذى عرضه السيوطى فى كتابه «الإتقان» فبلغ اربعين رأياً، ولكن لم نجد من هذه الآراء المتعدّدة رأياً واحداً يقول مثل هذا القول المجحف.

وثمة دليل آخر يؤيد ما ذهبت إليه من أن القراءات ليس مرجعها اللغات المختلفة للقبائل على الإطلاق من غير أن تقيد بالسند أو الرواية.. أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اختلف مع هشام بن حكيم فى قراءة سورة الفرقان ـ كما سبق بيانه ـ وكلاهما قرشى ، فبم نفسر هذا؟ هل اختلفت قريش وهى قبيلة واحدة فى قراءتها؟.

مرجع ذلك فى رأيي أن أحدهما سمع من النبى ﷺ قراءة بعض آيات من سورة الفرقان بلهجة ما، وسمعها الثانى بلهجة أخرى، فأخذ كل منهما بالقراءة التى سمعها، وهذا لاينافى فى أنهما قرآ بغير لهجتهما، لأن القرآن الكريم لم تنزل كل كلمة فيه بلهجات متعدّدة، وإنما نزل بعض آياته ببعض اللهجات فحفظها الصحابة كما سمعت بغض النظر عن تلاقيها مع لهجتهم أو عدم تلاقيها.

ويقرر الرافعى أن القراءات ترجع إلى عهد النبى ﷺ، وعهد أصحابه فيقول :«يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم فى التلاوة إلى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، فلقد اشتهر بالإقراء منهم سبعة، عثمان، وعلى، وأبى، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء،

(١) فى الأدب الجاهلى : للدكتور طه حسين ص ٩٥، طبع دار المعارف بمصر.

وأبو موسى الأشعرى، وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين فى الأمصار، وكلهم يسند إلى رسول الله ﷺ»[1].

وفى إشارة ابن حجر فى كتابه «فتح الباري» تأكيد لهذه الحقيقة التى ذهبت إليها فقد نقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال:

«أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة.

قال ابن حجر: وتتمة ذلك أن يقال: إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، أى أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها فى لغته، بل المراعى فى ذلك السماع من النبى ﷺ»[2].

أمّا الناحية العددية فى الحديث الشريف (سبعة أحرف) فإنى أوافق أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس على أن المراد مجرّد التعدد، وليس المراد قصر الأحرف على العدد سبعة وذلك «لأن العدد سبعة يعبّر عن الكثرة والتعدد فى الأساليب العربية» [3].

القراءات السبع:

ليست القراءات السبع فى الحقيقة هى الأحرف السبعة الواردة فى الحديث المتقدمّ ذكره، وإنما هى بعض الأحرف ، وقد جمعها الإمام ابن مجاهد باختياره الخاص واشتهرت حتى ظنّ الكثير من الناس أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع.

وقد كان الإمام أبو العباس أحمد بن عمّار المهدى على حق فى نقده لابن مجاهد حيث يقول :«ولقد فعل مسبّع هؤلاء السبعة ما لاينبغى له أن يفعله، وأشكل على العامّة، حتى جهلوا ما لايسعهم جهله، وأوهم كل من قل نظره أن هذه هى المذكورة فى الخبر النبوى لاغير، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة» [4]

(١) اعجاز القرآن: مصطفى الرافعي، ص ٥١، مطبعة الاستقامة.
(٢) فتح البارى: لابن حجر ، حـ ٩ ص ٢٢، مطبعة البهية.
(٣) اللهجات العربية، ص ٣٩.
(٤) النشر، حـ ١ ص ٣٦.

أما هؤلاء الأئمة السبعة الذين جمع ابن مجاهد قراءاتهم بعد اختيارها من قراءات تعدّدتْ فهم:

«أبو عمرو بن العلاء، المتوفى ١٥٤هـ - عبدالله بن كثير م ١٢٠ هـ - نافع بن نعيم م ١٦٩هـ - عبدالله بن عامر اليحصبى م ١١٨ هـ - عاصم بن بهدلة الأسدى م ١٢٨ هـ - حمزة بن حبيب الزيات م ١٥٦ هـ - على بن حمزة الكسائى م ١٨٩هـ.

وقد أجمعوا على هذه القراءات السبع، لأن أصحاب الأهواء كثروا، وأخذوا يقرءون بما لاتحل تلاوته، تاركين المصحف الإمام، وخوفاً من أن يتسع الخرق على الراقع، وتمتد يد البدعة إلى كتاب الله لتحرّف فيه، نهض قوم «للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختاروا - فى كل مصر وُجه إليها مصحف - أئمة مشهورين بالثقة والأمانة فى النقل، وحسن الدراية، وكمال العلم، أفنوا عمرهم فى القراءة والإقراء واشتهر أمرهم ، وأجمع الناس على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصاحفهم»[١].

وهذه القراءات السبع ليست هى كل القراءات التى نسبت إلى النبى عليه السلام، وإنما هى غيض من فيض، وقد ظن بعض الناس خطأ أن هذه القراءات السبع هى المعتبرة وما عداها شاذ. قال ابن الجزري:«ولست أدرى كيف وصلوا إلى هذا الحكم مع أن أبا عبيدالقاسم بن سلام «جعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة، وتوفى سنة ٢٢٤هـ»[٢].ويؤكد أبو حيّان الأندلسى هذه الحقيقة فيقول: «ليس فى كتاب ابن مجاهد، ومن تبعه من القراءات المشهورة إلاّ النزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً»[٣]

وقبل أن أنتهى من هذا البحث، أحب أن أشير إلى أن هذه القراءات السبع متواترة لأن مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثين والقراء يؤكدون «أن التواتر شرط فى

---

(١) اتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ورقة ٥، مخطوط دار الكتب رقم ٧٣ - قراءات دار الكتب المصرية.
(٢) النشر، حـ ١ ص ٣٣. (٣) الإتقان، حـ١ ص ٨٠.

صحة القراءة، ولاتثبت بالسند الصحيح غير المتواترة، ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية »[1].

ويرى الزركشى «أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أمّا تواترها عن النبى ﷺ ففيه نظر، فإن اسنادهم بهذه القراءات السبع موجود فى كتب القراءات، وهى نقل الواحد عن الواحد»[2].

ولم يشذ من العلماء عن هذا المجال غير ابن الحاجب الذى نص فى كتابه «مختصر المنتهى» : «أن القراءات السبع متواترة فيما ليس من قَبيل الأداء كالمد والإمالة ، وتخفيف الهمزة ونحوها»[3].

ولم يسلم ابن الحاجب من النقد فى هذا الرأى فقال الدكتور/ إبراهيم حمودة: «ليت شعرى من الذى تقدم ابن الحاجب بهذا القول، فقص أثره ؟ فلو فكر الشيخ فيما قاله لما أقدم عليه، ولَيت الإمام ابن الحاجب أخلى كتابه من ذكر القراءات وأثرها كما أخلى غيره كتبهم منها، بل ليته سكت عن التمثيل[4].

ولعلىّ بهذا العرض قد وفقت لبسط قضية القراءات السبع والأحرف السبعة، ليتبين القارىء المسلم جوانب الحق فى هذا الموضوع الذى تلعب فيه الأهواء استناداً إلى النظرة القصيرة والأفكار المهوشة، والعقول التى لم تعش فى رحاب الدراسات القرآنية فترة طويلة تؤهلها إلى إلقاء الأحكام فى روية وتبصر، وبخاصة فى مجال هذا القرآن العظيم الذى تولى الله تعالى صيانته، لأنه كما يقول ابن الجزري: «لم يخل الله تعالى عصراً من الأعصار ، ولو فى قطر من الأقطار من إمام حجة قائم، ينقل كتاب الله تعالى يتقن حروفه وروايات ، ويصحح وجوهَه وقراءاته، يكون وجوده سبباً لوجود هذاالسبب القويم على مرّ الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم فى المصاحف والصدور» [5].

* * *

(١) شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص ٦، المطبعة الأزهرية.

(٢) الإتقان ، جـ ١ ص ٨٠.

(٣) مختصر المنتهى الأصولى لابن الحاجب، ص ٤٩، مطبعة كردستان العلمية.

(٤) القراءات واللهجات: للدكتور إبراهيم حموده، ص ٧٠.

(٥) النشر لابن الجزري، حـ١ ص ٥٤.

مصادر البحث ومراجعه

١ـ إتحاف فضلاء البشر للدمياطى ـ مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٧٣ ـ قراءات.

٢ـ الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى طبعة ثالثة نشر الحلبى.

٣ـ أسد الغاية فى معرفة الصحابة لابن الآثير طبع ١٢٨٦هـ.

٤ـ إعجاز القرآن: مصطفى صادق الرافعى ـ مطبعة الاستقامة.

٥ ـ تاريخ القرآن للزنجانى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٦ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ـ طبع عيسى الحلبى.

٧ـ تفسير الطبرى ـ طبع دار الجيل ـ بيروت.

٨ ـ شرح ابن القاصح على الشاطبية ـ المطبعة الأزهرية.

٩ـ صحيح البخارى ـ المطبعة الأميرية.

١٠ـ فتح البارى لابن حجر ـ المطبعة البهية.

١١ـ فى الأدب الجاهلى ـ الدكتور طه حسين ـ نشر دار المعارف بمصر.

١٢ـ القراءات واللهجات للدكتور إبراهيم حمودة ـ مطبعة السعادة ـ طبعة أولى.

١٣ـ الكلمات الحسان فى الحروف السبعة للشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية سابقاً المطبعة الخيرية.

١٤ـ لطائف الإشارات فى علم القراءات ـ لشهاب الدين القسطلانى ـ مخطوط ورقة ١٦١ دار الكتب المصرية.

١٥ـ اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ـ مطبعة الرسالة.

١٦ـ مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح ـ مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٨.

١٧ـ مجلة الأزهر ـ المجلد ٢٢ ص ٦٠٠.

١٨ ـ مجلة الفكر الإسلامى ـ مجلة شهرية إسلامية فكرية ـ تصدرها دار الفتوى ـ بيروت.

١٩ـ مختصر المنتهى الأصولى لابن الحاجب ـ مطبعة كردستان العلميّة.

٢٠ـ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

* * *